مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة التاسعة عشر

معنى السَّلامُ على محالِّ معرفةِ اللهِ ومساكنِ بركةِ اللهِ ومعادنِ حكمةِ اللهِ

السلام عليكم جميعاً أولياء عليٍّ وآل عليّ ورحمة الله وبركاته هذه الحلقة التاسعة بعد العاشرة من برنامج الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، عَظَّمَ الله أجوركم فهذه أيامُ سيد الأوصياء وتَقَبَّل الله طاعاتكم كلامنا متواصلٌ في زيارتنا الجامعة الكبيرة في هذا القول البليغ الكامل الذي فاضت به شفاه إمامنا أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، في الحلقة الماضية تم الكلامُ في المقطع الثاني من المقاطع الرئيسة في هذه الزيارة الشريفة، الزيارةُ كما تعلمون وذكرت ذلك مراراً في الحلقات الماضية تبتدئُ بخمسة مقاطع هذه المقاطع هي الأصول هي القواعد هي الأسس في فهم بقية ما جاء مذكوراً في هذه الزيارة وحتى في فهم بقية الزيارات، مَرَّ علينا الكلامُ في مقطعين.

المقطع الأول:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ، وَأَبْوابَ الايمانِ، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ، وَسُلالَةَ النَّبِيّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

المقطع الثاني:

اَلسَّلامُ عَلى أَئِمَّةِ الْهُدى، وَمَصابيحِ الدُّجى، وَأَعْلامِ التُّقى، وَذَوِي النُّهى، وَأُولِي الْحِجى، وَكَهْفِ الْوَرى، وَوَرَثَةِ الأَنْبِياءِ، وَالْمَثَلِ الأَعْلى، وَالدَّعْوَةِ الْحُسْنى، وَحُجَجِ اللهِ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَالأولى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

تمَّ الكلامُ في هذين المقطعين في الحلقات الماضية وأشرعُ اليوم في المقطع الثالث من المقاطع الخمسة الأُول من هذه الزيارة الكريمة ماذا يقولُ مقطعنا الثالث؟ **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – هذه العناوين الأربعة تتعانق فيما بينها في الدلالة والمضمون والفحوى والمعاني – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ، وَحَفَظَةِ سِرِّ**

اللهِ – أقف عند هذه العناوين من عناوين آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، أبينُ ما أستطيع بيانه بحسب ما يسنح به المجال.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، أعتقد أن الكلمات من الجهة اللغوية واضحة ولكن بشكلٍ موجز أقول مَحَالّ جمعٌ لمحل ومحل هو اسمُ مكانٍ للحلول، حينما يكون هذا المكان محلاً لي فإني قد حللت فيه، هذا إذا كان الحديثُ عن الأشياء التي لها أبعاد مادية التي لها أجسام، وأما إذا كان الحديث عن معنىً أعمق من ذلك خصوصاً حين يكون الكلام ما وراء الأجسام ما وراء الحدود المادية فإن الحديث سينتقل إلى جهةٍ أخرى، البحثُ يتوجه باتجاهٍ آخر وهو التجلي تقول المحال يعني المجالي، المجالي يعني الوجودات الموجودات التي هي في حقيقتها كالمرائي تتجلى فيها آيات الله سبحانه وتعالى، مرآيا تتجلى فيها الأسماء الحسنى والصفات العليا – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – المعرفة في لغة العرب قد تأتي بمعنى العلم وقد تأتي بمعنى الخبرة، المعرفة في اللغة هذا، المعرفةُ هي العلم والمعرفةُ قد تأتي بمعنى الخبرة، لكن الكلام هنا عن المعرفة في بُعدٍ أعمق من المعنى اللغوي – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – وفقاً للبعد اللغوي وللتركيب اللغوي حين نقول: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – نحن نسلمُ على الجهات على الأماكن على الموجودات التي هي محلٌ لمعرفة الله سبحانه وتعالى، هذا في المعنى اللغوي بشكلٍ مُجمل لكننا لا نقفُ عند هذا المعنى، المعاني اللغوية في ساحة المعارف الإلهية ليست بشيء، هذه قشور وقشور القشور، الكلامُ عن المعرفة في بعده الأول في بعده الإنساني المعرفة في الأفق الذي نحن نعيش فيه، المعرفة في الأفق الإنساني في الأفق الإنساني الاعتيادي لأمثالنا، المعرفةُ هي غيرُ العلم.

العلمُ صورٌ تنطبعُ في الذهن معلوماتٌ تُختَزنُ في ذاكرة الذهن، صورٌ وإشاراتٌ تتمازج ما بين المخ والدماغ وما بين العقل باعتبار أن المخ إنما هو يمثل الجانب الجسدي للعقل، العقلُ ليس في البدن، العقلُ إشعاعٌ في الروح، العقلُ قدرةٌ نوريةٌ مودعة في الروح، الروحُ فيها من القدرات المعنوية ومن القدرات النورية من جملتها قدرة العقل كما أن الروح فيها قدرة القلب والقلبُ يتجلى يتجسدُ جسدياً في هذا الموجود الذي نختزنه بين أضلاعنا، القلب ذلك الذي يُعَرِّفُه الأحيائيون بأنه ذلك الجسمُ الصنوبريُ الشكل الذي تكون قاعدته إلى الأعلى ورأسه إلى الأسفل وهو مضخة الدم التي نحتفظ بها في صدورنا بين الأضلاع، نحتفظ بها تحت شغافٍ هذا القلبُ هو الذي يتمازجُ مع الروح ليشرق منه معنى الوجدان ومعنى العاطفة ولتتأجج فيه المشاعرُ والأحاسيسُ والمحبةُ والبغضُ إلى كل ذلك من هذه المعاني، وهناك يختبئ الضمير هناك يختبئ الضمير الإنساني ذلك الذي قالوا عنه بأنه صوتُ الحق في أعماق الإنسان يختبئُ في طوايا القلب، هذا القلب الذي هو جسدٌ لحقيقة القلب المعنوي في الروح، قلب الإنسان في بعده الحقيقي في روحه وعقل

الإنسان كذلك، لكن كما أن الإنسان يتجلى جسدياً بهذا الجسد بهذا الجسم وحقيقته في روحه ما وراء الجسم فقلبهُ كذلك وعقلهُ أيضاً يتجسدُ في المخ، العلمُ صورةٌ تنطبعُ في الأذهان وتوجد لها إشاراتٌ كيميائية وأمواج مرسلة إلى المخ وبالتعانق ما بين القوة الروحية القادرة على التمييز وهي قدرة العقل وما بين طوايا وصفحات المخ هناك تكون الصورة العلمية، أما المعرفة فهي أبعدُ من ذلك، المعرفةُ صورُ تنطبع في الذهن، صورٌ تنطبع في العقل في أعلى درجات الوضوح، وفي نفس الوقت تنطبع في القلوب في الوجدان، هذه هي المعرفة صورٌ واضحةٌ جداً في العقل مع صورٍ واضحةٍ جداً في القلب، حينما تتعانق هذه الصور بنفس الدرجة بنفس المرتبة تلكم هي المعرفة لأن الصور العقلية صور جامدة خالية من البُعد الوجداني، المعرفة هي علمٌ ووجدان وتلك هي حقيقة الإيمان الإيمانُ معرفة والمعرفةُ إيمان، الإيمانُ ليس عقلياً وليس قلبياً، الإيمانُ سرٌ عجيبٌ وخلطةٌ لا تماثلها خلطة، إنها مزيجٌ ما بين العقل والوجدان حيث تنطبعُ الصورُ والحقائق في عالم العقل تتجسد بإشاراتٍ ذهنية وتنتقلُ هذه الصورُ وهذه الإشارات إلى عالمٍ فسيحٍ عجيب لا نمتلك عباراتٍ لوصفه إنه عالمُ الوجدان ذلك العالمُ الذي يتواصل مع الله هناك تنطبع الصور، حيثما تعمقت هذه الصور واضحةً جلية وتعانقت مع صورها مع النسخة الأخرى في العالم العقلي هناك المعرفة وهناك الإيمان ولذلك فالإيمانُ قدرة إدراكٍ تختلفُ عن قدرة الإدراك العقلي وعن قدرة الإدراك الوجداني.

إذا أردنا أن نكون منصفين في البحث، الإنسانُ يمتلكُ قدرة العقل ويمتلكُ قدرة الوجدان ويمتلكُ قدرة الإيمان، وبقدر ما يتم التواصل بين العقل وبين الوجدان ينشأ الإيمان يترعرع الإيمان وينمو إلى الدرجة التي ينطمس فيها العقل في الوجدان والوجدانُ في العقل فذلك هو اليقين وهذا المعنى يمكن أن يبلغ إليه من كان في مرتبة سلمان، سلمان الذي أُوتي العلمُ الأول والعلم الآخر هكذا وصفته كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا هو الكلام عن المعرفة في الأفق الإنساني الاعتيادي في أفق الأشياع والأتباع لا في أفق أهل البيت، فما أدراني بعقل أهل البيت وما أدراني بقلوبهم، هنا أتحدثُ عن عقلٍ كعقلي وعن قلبٍ كقلبي أتحدثُ عن عقولنا وعن قلوبنا أما حين يكون الحديثُ عن عقلٍ كعقل عليٍّ أو عن قلبٍ كقلب عليٍّ فما أدراني بذلك، أنا عاجزٌ عن أن أعرف ما يدورُ في كُنه عقل الذي بجانبي لأن لكل عقلٍ نحوٌ من الممازجة ونحوٌ من المعاملة مع ما فيه من المعلومات ليست العقول كلها تتفاعل مع معلوماتها بنفس الدرجة وبنفس الكيفية، العقولُ متباينة، إني أجهلُ أن أعرف كيف يتمازجُ أو يتفاعلُ عقل هذا الذي بجانبي من أمثالي فأنى لي أن أعرف كيف يتمازجُ أو يتفاعلُ عقلُ عليٍّ ذلك العقلُ الإحاطي، ما رأيت شيئاً إلا ورأيتُ الله قبله وبعده ومعه وفيه، ذلك العقل الإحاطي هو العقل الذي تمازجت فيه حقائق الروح مع حقائق الوجدان فكان عليٌّ حقيقةٌ واحدة فكان مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآل حقيقةً واحدة في بعدها في جوهرها العميق لا أريدُ أن أذهب بعيداً في هذه المعاني إنما أردت أن أعطيكم صورة مجملة عن معنى المعرفة –

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ – هذا هو المعنى المجمل لمعنى المعرفة، حين نخاطبهم فنقول: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – هناك أكثر من أفق وهناك أكثر من اتجاه في هذه المخاطبة معهم صلوات الله عليهم – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – في أفقٍ يتناسب معنا نحن، فهم الجهة التي نأخذُ منها معرفة الله، هم الجهةُ التي تمدنا تفيض علينا بمعرفة الله سبحانه وتعالى، والزيارةُ الجامعةُ الكبيرةُ تفيضُ بهذه المعاني، ماذا تقول الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة ونحن نخاطبهم: **فَالرّاغِبُ عَنْكُمْ مارِقٌ، وَاللاّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ، وَالْمُقَصِّرُ في حَقِّكُمْ زاهِقٌ** – وهنا موطن الشاهد – **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** – وهل هذا إلا معنى أنهم محال معرفة الله، أنهم محل معرفة الله في بعض نسخ الزيارة الجامعة الكبيرة: السلام على محل معرفة الله، والمعنى واحد لا نريد الدخول في التفاصيل اللغوية – **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** – وهل الحقُّ إلا معرفة الله؟!

فهم محالُ معرفة الله، غايةُ ما في الأمر هذه العبارة تفسرُ هذا العنوان: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – ما المراد من محال معرفة الله؟ أن الحق معهم وفيهم ومنهم وإليهم وهم أهله ومعدنه، محل المكان الذي حلت فيه المعرفة فكيف كانت المعرفة؟ كانت معهم – **وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَاَنْتُمْ اَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ** – ولذلك الزيارة الجامعة الكبيرة في مقطعٍ آخر ونحن نخاطبهم: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي** – الخطاب مع آل مُحَمَّد – **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – هذه العبارة هي أيضاً تشرحُ معنى محال معرفة الله في الأفق الأول أنهم الجهةُ التي نأخذُ منها المعرفة، معرفتنا بالله منهم تأتي إذا لم تأتي منهم فتلك ضلال وما تلك بمعرفة – **مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – يعني الذي لا يبدأ بكم فإنه لا يريد الله – **مَنْ أَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ** – الذي لا يبدأ بكم فإنه لا يريد الله – **وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ** – يعني الذي لا يقبل عنكم فما وحد الله – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – يعني من لم يتوجه بكم ما قصد الله، إذاً البدايةُ والتوحيدُ والقصدُ والحقُّ والمعرفةُ من أين تأتينا؟! من محال المعرفة، أنت تريد أن تنال المعرفة؟ هناك جهة هذه الجهة هذه أوصافها الحقُ معها وفيها ومنها وإليها وهي أهله ومعدنه، وهذه الجهة هكذا نتعامل معها من أرد الله يبدأ بها لابد أن يبدأ بها ومن وحد الله لابد أن يقبل عنها أن يأخذ منها ومن أراد القصد إلى الله لابد أن يتوجه بها، المعنى أوضح وأدق حين تقول الزيارة: **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ** – نقطة وانتهى الكلام، أصلاً إذا وقفنا عند هذه العبارة وتشبعت بها القلوب لا حاجة إلى أن أستمر في الحديث – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ** – نقطة انتهى الكلام لا حاجة أن أبدأ بسطرٍ جديد لا كما يُقال نقطة فلنذهب إلى رأس السطر إلى سطرٍ جديد لنفتتح الكلام من جديد – **بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ** – نقطة انتهينا رُفِعت

الأقلام وجَفت الصحف كما كان يقول صلى الله عليه وآله وسلم حين يذكر كلاماً يتم فيه المعنى فماذا يقول؟ يقول رُفِعت الأقلام وجفت الصحف.

بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ – رُفِعت الأقلام وجفت الصحف، ولذلك حين يتمازجُ العقلُ مع القلب في معرفة الوجدان والإيمان العبارات هنا عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة هي ممازجة بين عالم العقل وبين عالم الوجدان ممازجة غريبة وعجيبة، خلطةٌ سرية، خلطةٌ سحرية لا يتمكن الواصف من أن يصفها، ممازجة غريبة في هذه الزيارة ما بين عوالم العقل وما بين عوالم الوجدان تغوص بعيداً في أغوار خلجات النفس البشرية لذلك تتسامى المعاني إلى أن يقول الزائر وهو في حيرةٍ بين سطوع البرهان العقلي وبين عذوبة المعنى الوجداني، فحين تتعانق الحجج العقلية مع المعاني النقية الطاهرة التي تنفثها القلوب يذهب الإنسان بعيداً في حيرته ولكن في حيرةٍ لذيذة، في حيرةٍ أحلى من طعم العسل وهو يقول: **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ** – الحديث هنا يتجاوز البحث العقلي والبحث الوجداني، هذا هو حديث المعرفة، هذا هو حديثُ الممازجة بين العقل والقلب – **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ** – هنا يقف العقل البشري مع الوجدان البشري يطوف في هذه المعاني.

هذه العبارات لا على نحو التحديد هذه العبارات بسبب طواف العقل والقلب في تلكم الحقائق المقدسة، اللغة هنا تقف عاجزة لكن هذه العبارات هي أبلغ ما تكون فهذا هو القولُ البليغ الكامل، العقلُ والقلب هنا يطوف في هذه الدائرة المقدسة – **بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَأَجْسَادُكُمْ فِي الْأَجْسَادِ وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الْأَرْوَاحِ وَأَنْفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُمْ فِي الْآثَارِ وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ كَلامُكُمْ نُورٌ** – وهذا هو كلامهم – **كَلامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمُ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ** – ولو كانت هناك عبارات أخرى لجيء بها – **إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلائِكُمْ** – ليس هناك من طريقٍ إلا الإيمان، والإيمانُ الممازجةُ بين العقل والوجدان وتلكم هي المعرفة، وهذا في أفقٍ المعرفة التي نحن نعيشها، وإلا في أفق معرفة أهل البيت المعاني مختلفة.

هذا هو الجزء الرابع والعشرون من كتاب بحار الأنوار أقتطفً بعضاً من كلمات الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية ينقلها الشيخُ المجلسي عن الاحتجاج لشيخنا الطبرسي رحمة الله عليه، **عن الأصبغ بن نباته قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوْا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ – يسأله عن معنى هذه الآية – **فقال سيد الأوصياء: نَحنُ البيوت التي أمر الله أن تؤتى من أبوابها نَحنُ باب الله وبيوته التي يؤتى منها** – بيوت، محال المعرفة، هم بيوت الله، هم محالُ معرفة الله – **نَحنُ البيوت التي أمر الله أن تؤتى من أبوابها نَحنُ باب الله وبيوته التي يؤتى منها فمن بايعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها ومن خالفنا وفَضَّلَ علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها، فقال يا أمير المؤمنين:** ﴿ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ – سؤال عن آية ثانية والآيات مترابطة في الدلالة – **فقال عليٌّ عليه السلام: فنحن الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم ونَحنُ الأعراف الذين لا يُعرَف الله إلا بسبيل معرفتنا** – موطن الشاهد هنا – **ونَحنُ الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونَحنُ الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار** – هذه مظاهر، هذه آفاق لمعنى الأعراف – **ونَحنُ الأعراف يوم القيامة بين الجنة والنار فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه وذلك بأنَّ الله عزَّ وجلَّ لو شاء عَرَّفَ الناس نفسه حتى يعرفوه ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه قال فمن عَدَلَ عن ولايتنا وفَضَّلَ علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون** – الرواية واضحة في الدلالة والمعنى.

هم بيوت الله، بيوت محال، هم بيوت الله وهم أبواب الله، البيوت لها أبواب هذا في العالم الدنيوي في العالم الحسي في عالم الحقيقة هم بيوت الله وهم أبواب الله وهم معرفة الله، في المعنى الدقيق في المعنى العميق إذا أردانا أن نسلم على الأئمة فنقول: السلام على معرفة الله – هذا التعبير تعبير تقريبي – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – فوجود أهل البيت وجودهم هو معرفة الله ومعرفة الله هو وجودهم ولكن ما يظهر لأمثالنا إنما هو بحسب عقولنا بحسب قدرات الإدراك الموجودة عندنا وإلا فهم بيوت الله وهم أبواب الله، أليس الأبواب هي غير البيوت؟ لكن هذا في الجانب الحسي فهم أبواب الله وهم بيوت الله والأبواب هي البيوت والبيوت هي الأبواب، وهذه البيوت بيوت المعرفة فالمعرفة هي البيوت والمعرفةُ هي الأبواب فالمعرفة هي الأبواب وهي البيوت والبيوت هي المعرفة وهي الأبواب والحقيقةُ هيَ هي، السلام على معرفة الله، هم معرفة الله سبحانه وتعالى وما المراد: السلام على معرفة الله، السلام على نور الله، هذا النور الساطع فيهم صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين والذي الإشارةُ إليه في دعاء الجوشن الكبير، ماذا نقرأُ في دعاء الجوشن في المقطع السابع والأربعين وهذه ليالي دعاء الجوشن، دعاء الجوشن الكبير في المقطع السابع والأربعين: **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا خَالِقَ النّورَ يا مُدَبِّرَ النّور** – هذه تجليات، هذه مراتب من التجليات – **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا خَالِقَ النّورَ يا مُدَبِّرَ النّور يَا مُقَدِّرَ النّور يَا نُورَ كُلِّ نُور يَا نُوراً قَبلَ كُلِّ نُور يَا نُوراً بَعدَ كُلِّ نُور يَا نُوراً فَوقَ كُلِّ نُور يَا نُوراً لَيسَ كَمِثْلَه نُور** – هذه معرفة أهل البيت أنا لا أعرف أسرار هذه المعرفة لكنها إشاراتٌ تشير إلى معرفة أهل البيت، هذه معرفة أهل البيت، هذا المقام مقامُ أهل البيت في معرفة الله سبحانه وتعالى – **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا خَالِقَ النّورَ يا مُدَبِّرَ النّور يَا مُقَدِّرَ النّور يَا نُورَ كُلِّ نُور يَا نُوراً قَبلَ كُلِّ نُور يَا نُوراً بَعدَ كُلِّ نُور يَا نُوراً فَوقَ كُلِّ نُور يَا نُوراً لَيسَ كَمِثْلَه نُور** ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ هو هذا النور ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ **يَا نُورَ النّور يَا مُنَوِّرَ النّور يَا نُوراً لَيسَ كَمِثْلَه نُور** – هذه هي معرفة أهل البيت.

إشاراتٌ فقط الحقيقة ما هي؟ ذلك شيءٌ محجوبٌ عنا، هذا المعنى يتجلى في نَسَقٍ آخر في المقطع السابع والثلاثين، المقطع الذي مر علينا هو المقطع السابع والأربعون وحتى ترتيب هذه المقاطع هذا الترتيب ليس ترتيباً جزافياً هكذا، أدعية أهل البيت نظام دقيق وفيها شفرات فيها أسرار، هناك فيها شفرة خاصة، هذا في المقطع السابع والثلاثين فيما بين هذا المقطع وذلك المقطع عشرة – **يا من كل شيءٍ خاضعٌ له يا من كلُ شيءٍ خاشعٌ له يا من كلُ شيءٍ كائنٌ له يا من كلُ شيءٍ موجودٌ به يا من كلُ شيءٍ منيبٌ إليه يا من كلُ شيءٍ خائفٌ منه يا من كلُ شيءٍ قائمٌ به يا من كلُ شيءٍ صائرٌ إليه يا من كلُ شيءٍ يسبح بحمده يا من كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه** – كل هذه المعاني تتجلى في وجهه – **يا من كل شيءٍ خاضعٌ له** – كلُ شيءٍ خاضعٌ لوجهه – **يا من كلُ شيءٍ خاشعٌ له** – كلُ شيءٍ خاشعٌ لوجهه – **يا من كلُ شيءٍ كائنٌ له يا من كلُ شيءٍ موجودٌ به يا من كلُ شيءٍ منيبٌ إليه يا من كلُ شيءٍ خائفٌ منه يا من كلُ شيءٍ قائمٌ به** – هذه الأشياء كلُ شيء خاضعٌ له أين تتوجه الأشياء بالخضوع؟ – **يا من كلُ شيءٍ خاشعٌ له** – أين تتوجه الأشياء بالخشوع؟ – **يا من كلُ شيءٍ كائنٌ له** – أين تتوجه الأشياء بكينونتها؟ – **يا من كلُ شيءٍ موجودٌ به** – كيف تتقدمُ وتتقومُ هذه الأشياء بوجودها؟ – **يا من كلُ شيءٍ مُنيبٌ إليه يا من كلُ شيءٍ خائِفٌ منه يا من كلُ شيءٍ قائمٌ به يا من كلُ شيءٍ صَائرٌ إليه يا من كلُ شيءٍ يسبح بِحمده يا من كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه** – كل ذلك سيهلك ويهلك ولكن قبل هلاكه أين كان متوجهاً في خشوعه في

خضوعه في وجوده في كينونته في إنابته في خوفه وفي سائر المعاني، متوجهٌ إلى الجهة التي لا تهلك – **يا من كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه** – هذا الوجه الذي جاء مذكوراً في المقطع السابع والثلاثين هو نفس هذه المعاني التي جاءت في المقطع السابع والأربعين – **يا نور النور** – هذا الوجه هو نور النور، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معرفتهم تختلفُ عن معرفتنا وسيتبين هذا من خلال ما سأأتي على بيانه في كلماتهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أعودُ إلى الأفق الذي كنت أتكلم فيه وهو معرفتنا – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – السلام على الجهة التي تأتينا معرفة الله منها، الكلامُ عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في تفسير علي بن إبراهيم القمي – **فمن عَدَلَ عَن ولايتنا وفضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون فلا سواء من اعتصمت به المعتصمون لا سواء من اعتصم به الناس ولا سواء حيثُ ذهب من ذهب فإنما ذهب الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض** – عيون كدرة، العيون التي لا يأتيها الفيضُ ولا يأتيها النبعُ من مُحَمّدٍ وآل مُحَمَّد من معدن الطهارة فإنها عيونٌ كدرة في علمها في معرفتها – **فإنما ذهب الناس إلى عيونٍ كدرة يفرغُ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية** – هناك فارقٌ بين هذه العيون وبين تلكم العيون – **فإنما ذهب الناس إلى عيونٍ كَدرة يفرغُ بعضها في بعض وذهب من ذهب إلينا إلى عيونٍ صافية تَجري عليهم بإذن الله تعالى لا انقطاع لها ولا نفاذ.**

عن سعدٍ بن طريف عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ **قال يا سعد آل مُحَمَّد** – هؤلاء آل مُحَمَّد – **لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه وأعراف** – هم أعراف – **لا يُعرَف الله إلا بسبيل معرفتهم** – وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ، بسبيل معرفتهم، وأعرافٌ هم آل مُحَمَّد – **لا يُعرَفُ الله إلا بسبيل معرفتهم.**

الروايةُ في بصائر الدرجات، **قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: يا عليّ ثلاث أقسمُ أنهن حق** – رسول الله يُقْسِم – **ثلاث أقسمُ أنهن حق إنك والأوصياء** – الأوصياء من ولدك يا أبا الحسن – **إنك والأوصياء عرفاء لا يُعرَفُ الله إلا بسبيل معرفتكم** – هذه القضية الأولى والثانية رسول الله قال – **يا عليّ ثلاث أقسم أنهن حق** – الأولى – **إنَّكَ والأوصياء عرفاء لا يُعرَف الله إلا بسبيل معرفتكم** – الثانية – **وعرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم وعرفتموه** – الثالثة – **وعرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم وأنكرتموه.**

عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قوله، عن قوله تعالى:

﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ﴾ **قال: نَحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منّا** – هناك رابطٌ هذه المعرفة كيف يعرفونه، هناك رابط، هناك ارتباط، هناك جاذبٌ يجذبه إليهم وهناك جاذبٌ يجذبهم إليه – **نَحنُ أصحاب الأعراف فمن عرفناه** – بأي شيءٍ يعرفونه؟ يعرفونه بهذه المعرفة التي نتحدثُ عنها الآن، حين تتمازج العقول مع القلوب في معرفة أهل البيت يسطعُ نور الإيمان – **نَحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منّا ومن كان منّا كان في الجنة** – وأنتم الجنة والله يا آل مُحَمَّد أنتم جنتنا في الدنيا والآخرة – **نَحن أصحاب الأعراف فمن عرفناه كان منّا ومن كان منّا كان في الجنة ومن أنكرناه كان في النار** – وأنتم جنتنا وبعدكم هو نارنا، كلمات أهل البيت تتوالى كثيرةٌ وفيرة ولكن الوقت لا يكفي لإيرادها أقتطفُ منها شيئاً من هذه الكلمات على نفس هذا النَسَق.

عن أبان بن عمر ختنُ آلُ مِيثم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام – ختنهم يعني صهرهم – **كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي فقال: جعلني الله فِداك ما تقول في قوله تعالى ذكره:** ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ **قال: هم الأوصياء من آل مُحَمَّد الأثنا عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه** – كلمة واضحة صريحة جلية – **قال: هم الأوصياء من آل مُحَمَّد الأثنا عشر لا يعرف الله إلا من عرفهم وعرفوه قال فما الأعراف** – وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ – **فما الأعراف جُعلتُ فداك قال: كثائب من مسك** – كثائب جمعُ كثيب والكثيب هو التلة، تل – **قال: كثائب من مسك** – هذه مجرد معاني تقريبية – **قال: كثائب من مسك عليها رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء يعرفون كلاً بسيماهم فقال سفيان: فلا أقول في ذلك شيئاً من شعر** – لأنه كان شاعراً فقال أبياتاً من جملة ما قال فيها

وأنتم على الأعراف وهي كثائبٌ من المسك ريّاها بكم يتضوعُ

رياها عطرها، الريا العطر، يتضوع يعني ينتشرُ طيباً وطيباً وطيباً، الروايةُ هنا تتكلم بلسان الرمز كثائب من مسك، تلال من المسك، الحديث هنا عن مقامٍ من مقاماتهم عن المكان الذي ثبتت فيه أقدامهم، هم على الأعراف والأعراف كثائب من مسك والمسكُ هو عطرُ رسول الله صلى الله عليه وآله، المسكُ هو عطرُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الروايات تترا في ذلك وهنا ينقل شيخنا المجلسي كلاماً عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه ينقلهُ من نهج البلاغة الشريف قال أمير المؤمنين عليه السلام: **إنما الأئمة قوام الله على خلقه وعُرفاءه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه –**

الكلمة واضحة لسيد الأوصياء – **إنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاءه على عباده لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه** – الروايات كثيرة في هذا الجلد وفي مجلدات أخرى عديدة وفي كتب أخرى كثيرة، روايات أهل البيت أحاديثُ أهل البيت بالمئات بل بالآلاف كلها تصبُ في هذه الساقية، كلها تنبعُ من عين هذا النبع، كلها تدلُ على هذه الحقائق لكن أولئك الذين أعمت الدنيا بصائرهم أولئك لا كلام لنا معهم ونحن هنا لسنا في مقام الجدل أو النقاش مع هذا الجاهل أو مع ذلك الضال أو مع ذلك الذي في ريبه يتردد أو مع ذلك الذي لا يعلمُ شيئاً من حديث أهل البيت وإن وضعت له أسماء ومسميات وألقاب، حديثنا هنا هو حديثُ الحب، حديثنا هنا هو حديث الهيام، حديثنا هنا حديث المعرفة مع أولئك الذين تتقطع قلوبهم شوقاً لمعرفة آل مُحَمَّد، حديثنا مع أولياء أهل البيت مع تلك القلوب التي سكن فيها عليٌّ وتتأبى تلك القلوب أن يخرج عليٌّ منها صلوات الله وسلامه عليه، تلك القلوب التي حبست علياً في محبسها، تلك القلوب التي ما فارقت علياً ولا فارقها عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، حديثنا مع هذه القلوب لا مع أولئك الذين انتكس وجدانهم والذين عثر حظهم عثرةً لا أعتقدُ أن يُقالوا بعدها لا إقالة بعدها إلا برحمةٍ من الله سبحانه وتعالى إلا بشفاعةٍ من إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه فالأمرُ إليه وبيده والحقُّ معه وفيه ومنه وإليه وهو صاحبه وهو معدنه ومرد الأمر إليه.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، المعنى الأول هم الجهة التي نأخذُ منها معرفة الله سبحانه وتعالى وأعتقد أن في هذه البيانات ما أوضح الصورة من أن معرفة الله على النحو العلمي نأخذها منهم وعلى النحو القانوني الله سبحانه وتعالى وضع قانون وضع سنن وضع قانون فإنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه هذا قانون، هم محال معرفة الله، هم مصدرنا العلمي مصدرنا المعرفي مصدرنا اليقيني وهم مصدرنا التربوي – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – هم مصدر المعرفة والعلم – **مَنْ اَرادَ اللهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ** – توحيده معرفته تأتي من قبلهم – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – الحركة باتجاه الله سبحانه وتعالى لابد أن تكون بواسطتهم – **وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ** – هذه الباء باء الواسطة باء السببية بسببهم يكون التوجه المعرفةُ منهم وإليهم وبهم صلوات الله عليهم، وقانون المعرفة أنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، فهم من هذه الجهة محال معرفة الله ومن كل تلكم الجهات التي مرت الإشارةُ إليها هم محالُ معرفة الله وهذا بالنسبة لنا في أفق المعرفة الإنسانية، أما حينما يكون المعنى أعمق من ذلك حين يكون المعنى معنى أن البيوت هي الأبواب والأبواب هي البيوت وأن المعرفة هي محال المعرفة ومحال المعرفة هي المعرفة فحينئذٍ يكون الكلام بنحوٍ آخر، ذلك شيءٌ خاصٌ بهم صلوات الله عليهم فنحن هنا نسلم عليهم – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – في أفق معرفتنا كما بينتُ قبل قليل وأيضاً نسلم عليهم على أنهم هم معرفة الله، هم المعنى الأجلى لمعرفة الله

فمعرفة الله ليست صوراً ذهنية وليست عواطف ومشاعر وأحاسيس، معرفة الله هي حقيقة الوجود، هذا الوجود هو معرفة الله وهم معرفة الله.

حين نقرأُ مثلاً في المناجاة الشعبانية وهي من كنوز الأدعية التي وردت عن أهل البيت، حين نقرأ: **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بَكَ غيرُ مَجهول ومن لاذَ بَكَ غير مخذول ومن أقبلت عليه غير مملول إلهي إنَّ من انتهج بك لمستنير وإن من اعتصم بك لمستجير** – موطن الشاهد هنا: **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك غير مَجهول** – غير مجهول يعني أصبح ذاتاً معروفة – **إنَّ من تَعَرَّفَ بك غير مَجهول** – أنا قلت قبل قليل مناجيات الأئمة أدعية الأئمة زياراتهم توجد فيها رموز وشفرات خاصة من اهتدى إليها يستطيع أن يفكك معاني الأدعية ومعاني الزيارات – **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك غيُر مَجهول** – الذي يتعرف به هو غير مَجهول، العبارة هنا لا تشير إلى معنىً عُرفي ولا تشير إلى معنىً لغوي في حاق اللغة فقط، إن من تَعَرَّف بك من حلت فيه المعرفة فهو غير مجهول، كيف يكون غير مجهول؟ لأنه سيتمازج مع المعرفة فيعود معرفةً، وهذه المنزلة منزلةٌ خاصة بهم صلوات الله عليهم – **إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك** – يعني من حلَّت فيه معرفتك – **غير مَجهول** – كيف صار غير مجهول؟ لأنه امتزج بالمعرفة والمعرفة امتزجت به فصار معرفةً لربما هناك إشارة أوضح من ذلك ما جاء في دعاء سيد الشهداء في يوم عرفة، ماذا يقول سيد الشهداء؟

ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك وكيف أتوسل إليك بما هو مَحالٌ أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يَخفى عليك أم كيف أترجم بِمَقالي وهو مِنك بَرَزَ إليك – هناك قراءتان – **وهو منك بَرَزٌ إليك، وهو منك بَرَزَ إليك** – والقراءتان صحيحتان والمعنى واحد – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك بَرَزَ إليك** – الذي يتدبر في هذه العبارة يجد المعنى واضحاً – (**إلهي إنَّ من تَعَرَّفَ بك غير مَجهول) أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك** – هو مقالي وهو منك – **أم كيف أترجم بِمقالي** – هذا مقالي – **وهو منك بَرَزَ إليك** – التدقيق عند هذه العبارة، أنا قلت قبل قليل الأدعية والزيارات فيها شفرات مفاتح خاصة تُفتح من خلالها الأسرار الكامنة والمودعة في هذه الأدعية وفي هذه الزيارات – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك** – مقالي وهو منك، هو مقالي وهو منك، منك وبرز إليك – **ها أنا أتوسل إليك بفقري إليك وكيف أتوسل إليك بِما هو مَحالٌ أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يَخفى عليك أم كيف أترجم بِمقالي** – الذي هو مقالي – **وهو منك بَرَزَ إليك** – فهو برز مني وهو برز منك وهو برز إليك – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو مِنك بَرَزَ إليك** – لا أذهب بعيداً ربما يتقرب المعنى شيئاً فشيئاً كما جاء في سورة الأنفال وهي تخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ما رميت إذ رميت نفي وإثبات ونسبة إلى الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾ **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك بَرَزَ إليك** – هذه منزلة أهل البيت هذه العبارات لا تنطبق علينا أبداً هذه معرفة أهل البيت – **أم كيف أترجم بِمقالي** – مقالي أنا – **وهو منك** – هو مني ومنك – **وهو منك بَرَزَ إليك** – هذه المنزلة التي تتمازج فيها المعرفة مع الذات فتعود الذات هي المعرفة والمعرفة هي الذات وهذه منزلةٌ ومرتبةٌ خاصة بأهل البيت.

حين نقول: **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – السلام على معرفة الله، ومعرفة الله كما قلت في هذا المقام ليست صوراً ليست أوهاماً، معرفة الله هناك حقيقة، الحقيقة هذه المعنى الذي مرَّ علينا في كثيرٍ من الأدعية في كثيرٍ من النصوص كما مرَّ علينا في دعاء ليلة المبعث الشريف وفي دعاء يوم المبعث الشريف وهو من أهم الأدعية التي تحدثت عن أعمق الحقائق – **فَأسألُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الأَعظَمِ الأعظَمِ الأَعظَمِ الأَجَلِّ الأَكْرَم الّذي خَلَقتَهُ فَاسْتَقَرَّ في ظِلِّك فَلا يَخرُجُ مِنكَ إلى غَيرِك** – معرفة أهل البيت هي هذه، القضية ليست صور أو خطرات، مثلاً نحن نقرأ في أدعية شهر رجب: **يَا مَن سَمَا في العِزِّ فَفَاتَ نَواظِرَ الأبصَار** – الحديث هنا عن المعرفة الإنسانية، الحديث حتى عن معرفة الأنبياء، الحديث في هذا الأفق حين قال صلى الله عليه وآله: **ما عرفناك حق معرفتك** – هذه الكلمة منقولة عن النبي الأعظم – **ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حقَّ عبادتك** – هذا الأفق الإنساني هذا أفق النبوات الأرضية – **يَا مَن سَمَا في العِزِّ فَفَاتَ نَواظِرَ الأبصَار وَدَنا في اللُّطفِ.**

هذا في أدعية شهر رجب التي يستحب قراءتها في كل يوم: **يَا مَن سَمَا في العِزِّ فَفَاتَ نَواظِرَ الأبصَار وَدَنا في اللُّطفِ فجاز هواجس الأفكار يا من توحد بالمُلكِ فلا ند له في مكلوت سلطانه وتفرَّد بالآلاء والكبرياء فلا ضِدَ له في جبروت شَانِه يا من حَارت في كبرياء هَيبتهِ دقائقُ لطائِفُ الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمَتهِ خطائف أبصار الآنام يا مَن عَنَت الوجوه لهيبته وخضعت الرقاب لعظمته ووجلت القلوب من خِيفَتِه أسألك بهذه المدحة التي لا تنبغي إلا لك** – إلى آخر الدعاء الشريف، حين نردد هذه الكلمات: يا من حارت في كبرياء هيبتهِ دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمَتهِ خطائف أبصار الآنام، الحديث في أفق المعرفة الإنسانية في أعلاها في أفق المعارف النبوية في عالم الأرض، أما هنا حين تكون الإشارة إلى هذا المضمون في سلامنا على الأئمة – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – السلام على معرفة الله فمعرفة الله ليست صوراً وليست خيالات، معرفة الله حقيقةٌ خُلِقت فاستقرت في ظله فلا تَخرج منه إلى غيره، معرفة الله في أتم مجلاها هو ذلك الاسم الأَعظَمُ الأَعظَم الأعظم الذي خلقتهُ فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك، هذا هو محل معرفة الله والمحل هنا هو المعرفة والمعرفة هو المحل – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – أنتم سادتي وأوليائي كما يقول حُسيننا صلوات الله عليه: **أم كيف أترجم**

بمقالي وهو منك بَرَزٌ إليك وهو منك بَرَزَ إليك – بَرَزٌ هنا اسم أما بَرَزَ فهو فعل – **أم كيف أترجم بِمقالي وهو منك بَرَزَ إليك** ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أولئك هم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – هم الذين بسبيلهم وبسببهم نعرف الله سبحانه وتعالى وهم حقيقة معرفة الله في هذا الوجود.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ. مساكن جمعٌ لمسكن والمسكن هو المكان الذي يُسكن فيه يُستقر فيه، مسكن من السكون والسكون هو الاستقرار هو عدم الحركة، مساكن جمعُ مسكن والمسكن المكان الذي تنتهي فيه الحركة، هناك استقرار لذلك يقال لبيت الإنسان مسكنهُ لماذا؟ لأنه في خارج البيت يسافر يذهب يعمل يتنقل في أجواء الحياة حين يعود إلى بيتهِ فإنه يسكن، كل تلك الحركات قد انقطعت حينما وصل إلى بيتهِ فهو محل السكون محل الاستقرار – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – المساكن بنفس الكلام الذي مر أما البركة فالمراد من البركة في لغة العرب الزيادة بارك فيه أضاف إليه أزاد إليه، البركة هي الزيادة وهي النماء في لغة العرب، وشيءٌ مبارك شيءٌ يزداد يوماً فيوم ينمو يوماً فيوم – **وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – هذا العنوان إذا أردنا أن نترجمهُ يعني أنهم الجهة أنهم المحل أنهم المسكن الذي حلت فيه بركة الباري سبحانه وتعالى وبركة الباري تفيض وتفيض، بركة الباري تزداد وتزداد، بركة الباري لا انقطاع لها فمن أراد البركة فعليه بهذه المساكن – **وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – البركة من هناك تفيض تنمو وتزداد هو هذا المعنى المُجمل لبركة الله سبحانه وتعالى – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ** – فحيثما حلت المعرفة حلت معها البركة – **وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – إذا كانت هذه المعرفة في الأفق الإنساني فإن هذه المعرفة إذا ما حلت في قلوبنا تطهرت هذه القلوب.

إذا حلت معرفة الله في عقل الإنسان في قلب الإنسان فإن ذلك العقل فإن ذلك القلب قد تطهر وقد بدأ ينمو بدأ يزداد نوراً لأن المعرفة الحقيقية تتوالد منها معرفة ومعرفة، أنا قلت المعرفة حين يتعانق المعنى العقلي مع المعنى القلبي أما حين تكون المعلومات العقلية على حِدا والمعلومات القلبية على حِدا فليست هناك من معرفة، هناك إحساس وجداني في القلب وهناك معلومات في العقل هذا الإنسان لا يقال له عنده معرفة هذا الذي يملك علماً في عقلهِ ويملك صوراً في وجدانهِ من دون أن تتعانق هذه المعلومات، كيف تتعانق هذه المعلومات؟ على سبيل المثال من استعان بغير الله ذَل، الاستعانة بغير الله مذلة هذه الحقيقة عقلاً نحن المؤمنون نعتقد بها ويمكن أن نأتي بأدلةٍ كثيرة على اثباتها ويمكن للإنسان أن يرى حوادث في الحياة في التأريخ وفي الواقع المُعاش تُدلل على هذه القضية ويمكن أن يتلمس هذه الأمور في حياتهِ في بعض الأحيان وفي القلب نحس هذا المعنى لكننا في الحياة العملية في كثيرٍ من الأحيان لا نستطيع أن نعمل بهذه القاعدة

فنستعين بغير الله، في أمورٍ كثيرة يجب علينا أن نستعين بالله فقط لكننا لا نستعين بالله لماذا؟ العقل يقر بذلك والقلب يستشعر بذلك لكن القضية ما وصلت إلى الحد الذي تعانق القلب والعقل فحركا الإنسان بذلك الاتجاه، لأن العقل يقول من استعان بغير الله ذل لكن القلب متردد، الذي يحرك الإنسان هو القلب النية، القلب متردد لا يستشعر هذا المعنى بشكل عملي يرددهُ في اللسان والعقل يقرهُ لكن حين يواجه الإنسان الحياة العملية يستعين بغير الله، هذا هو خلاف المعرفة لا تسمى معرفة هذه، المعرفة حين يمتزج العقل مع القلب في نفس الوقت العقل يقول من استعان بغير الله ذل والقلب يدفع الإنسان لأن القلب أيضاً عنده هذه القضية واضحة وقد مُلئ القلب بها، هذه هي المعرفة تعانق بين الفكر العقلي والفكر القلبي، من لم يملك هذه المرتبة لا يقال عنده معرفة حتى لو كانت عنده معلومات كثيرة، لو ملك كل المعلومات في الأرض ما لم يكن هناك تعانق فيما بين الفكر القلبي والعقلي وبأفق واحد متقارب بحيث أن العقل والقلب يعملان في آنٍ واحد في نفس الاتجاه لا أن العقل يقول شيء والقلب يقول شيء، العقل يقول من استعان بغير الله ذل والقلب يقول له لا هذه مخاطرة لابد أن تستعين بفلان وفلان.

هذا مثال أنا لا أقصد المعرفة هي هذه فقط، هذا مثال يقرب المعنى، المعرفة إذاً هي هذه، فحينما تحل المعرفة في قلب فإن البركة تحل في ذلك القلب قطعاً هذا في الأفق الأول إذا كان الحديث عن المعرفة الإنسانية التي هي في الأفق الذي نعيش فيه، أما إذا كان الحديث عن أهل بيت العصمة في مقام الاسم الأَعظمِ الأَعظَمِ الأعظم الأعز الأجلَّ الأكرم تلك قضيةٌ أخرى في تلك المرتبة يكونون هم معرفة الله – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – مساكن بركة الله حينما تتجسد معاني المعرفة تتجسد معاني البركة ونحن قطعاً لا نُدرِكُ شيئاً من هذه الحقائق.

في الجزء السادس والعشرين من بحار الأنوار هذه الكلمة ينقلها جابر بن يزيد الجعفي عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، هذه الكلمة ينقلها جابر عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه وبِمسمعٍ من الإمام الباقر الإمام يقول: **يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني** – يحدثهُ عن الحقيقة بكل معناها، يُحدثهُ عن المعرفة وعن البركة: اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ – **يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني أما إثباتُ التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تدركهُ الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدركهُ كما وصف به نفسه** – ستدركهُ في أي مقام؟ بعد أن تتجلى لك المراتب الأخرى من المعرفة – **يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني أما إثباتُ التوحيد معرفة الله القديم الغائب الذي لا تُدركهُ الأبصار وهو يُدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وهو غيبٌ باطن ستدركهُ كما وصف به نفسه وأما المعاني** – كيف يتم الإدراك؟ من خلال المعاني – **قال: ستدركهُ**

وهو غيبٌ باطن ستدركهُ كما وصف به نفسه – فكيف ندرك الحقيقة؟ أليس من خلال معناها – **وأما المعاني فنحن معانيه** – نحن معاني الله – **وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهرهُ فيكم** – أهل البيت هم معاني الله – **وأما المعاني فنحن معانيه ومظاهرهُ فيكم اخترعنا من نور ذاته وفَوَّض إلينا أمور عباده** – فهم مساكن بركة الله، البركة الفيض أمور العباد مفوضة إليهم هذه البركة مرتبطة بالمعرفة أنا قلت هذه العبارات يرتبط بعضها بالبعض الآخر – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ** – البركة مرتبطة بهذه المعرفة، هذه المساكن هي التي تفيض بفيض الله – **وأما المعاني** – وهي المعرفة – **فنحن معانيه ومظاهرهُ فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوَّض إلينا أمور عباده فنحن نفعل بأذنهِ ما نشاء** – هذا هو مقام مساكن بركة الله – **فنحن نفعل بأذنهِ ما نشاء ونَحنُ إذا شئنا شاء الله وإذا أردنا أراد الله ونَحنُ أحلّنا الله عزَّ وجلَّ هذا المحل** – محل المعرفة ومسكن البركة، المسكن هو محل – **ونَحنُ أحلنا الله عزَّ وجلَّ هذا المحل واصطفانا من بين عباده وجعلنا حُجتهُ في بلاده** – فهم محال معرفة الله وهم مساكن بركة الله.

الفيض قادمٌ إلينا منهم والفيض قادمٌ إلينا بهم فهم السبب وهم السبيل – **فما شيءٌ منا** – كما في زيارة الناحية المقدسة في زيارة الندبة حين نزور الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه، الناحية المقدسة هو عنوانٌ لإمام زماننا، الناحية المقدسة ليست عنواناً لزيارةٍ واحدة، الناحية المقدسة هو اسمٌ للإمام الحجة، حينما نقول قد ورد هذا من الناحية المقدسة يعني من الجهة المقدسة، هذا اسمٌ تستعمله الشيعة منذ الأزمنة القديمة فحينما نقول زيارة الناحية المقدسة إما أن تكون هذه الزيارة وردت من الناحية المقدسة أو زيارة نزور بها الناحية المقدسة – **فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل** – وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، قد يقول قائل وهذا كلامٌ كثيرٌ وكبيرٌ في منازل أهل البيت أقول لا والله ما هو بكثيرٍ ولا هو بكبير، وما معرفتي أنا ومعرفة أمثالي وما كلامي وكلام أمثالي ما هو إلا شيء في منازل أهل البيت لأننا لا نعرف شيئاً.

هناك رواية وهذه الرواية جميلة جداً السائل يسأل الإمام صلوات الله وسلامه عليه والرواية موجودة في الكافي أيضاً أحد الأصحاب وهو يونس بن رباظ – **قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله** – وكامل التمار هذا من خواص أهل البيت رواياتهُ تكشف عن هذه الحقيقة، الحقيقة هذه الرواية تحتاج إلى تمعّن تحتاج إلى تبصّر تدبّر، رواية جميلة جداً يونس بن رباظ – **قال: دخلت أنا وكامل التمار على أبي عبد الله عليه السلام فقا له كامل:** – كامل التمار يسأل الإمام – **جُعِلتُ فِدَاك حديثٌ رواهُ فلان، فقال: أذكره، فقال: حدثني أن النبي صلى الله عليه وآله حَدَّثَ عَلِيّاً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب، فقال: لقد كان ذلك –**

الحديث معروف – **علمني رسول الله ألف بابٍ من العلم ينفتح لي من كل باب ألف باب** – وفي بعض الروايات ينفتح لي من كل باب ألفُ ألف فإذا كان كامل التمار يستكثر المليون في هذا الحديث حدثني رسول الله ألف باب ينفتح لي من كل باب ألف الف يعني يكون مليار، وهناك في نصوص أخرى حدثني علمني ألف ألف باب ينفتح لي من كل باب ألف ألف باب يعني القضية تتجاوز المليار إلى التريليون، الأرقام ليست مهمة هذه الأرقام مسائل تقريبية، الأرقام هنا تشير إلى الغاية النهائية باعتبار أعلى الأرقام في لغة العرب هو الألف فإذا قيل ألفُ ألف فلا يوجد بعد هذا رقم بحسب التعبير العرفي – **أن النبي صلى الله عليه وآله حَدَّثَ عَلِيّاً عليه السلام بألف باب يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله كل باب يفتح ألف باب فذلك ألف ألف باب** – وقلت الأعداد ليست مهمة هناك حديث أنهُ حَدَّثني بألف باب وكفى، بعض الأحاديث نقلت هكذا فلا يعني الأرقام هنا أن هذا الحديث حدثني بألف باب لا يعني أن القضية وقفت عند الف أو كما في هذا الحديث وقفت عند المليون هذه الأرقام تشير إلى الما لا نهايات.

الإمام قال – **لقد كان ذلك، قال: جُعِلتُ فِداك ذلك يظهر لشيعتكم ومواليكم؟** – يعني هذا ألف باب ينفتح من كل باب ألفُ باب هل هذه الأبواب تظهر لشيعتكم ومواليكم، هذه الأبواب من أبواب المعارف والعلوم – **جُعِلتُ فِداك ذلك يظهر لشيعتكم ومواليكم؟** – الإمام ماذا قال؟ – **فقال: بابٌ أو بابان باختلاف مراتب الشيعة** – يعني هذه المليون باب بحسب هذا الحديث بابٌ أو بابان بحسب مراتب الشيعة – **فقلت له: جُعِلتُ فِداك فما يُروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا بابٌ أو بابان** – هذا ما يروى وليس كل الروايات وصلت إلينا ولا نحن نذكر هنا في هذا البرنامج كل الروايات.

انتبهوا شيئاً فشيئاً لم تكمل الرواية أنا قلت هذه الرواية بحاجة إلى تبصر – **فقلت له: جُعِلتُ فِداك فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا بابٌ أو بابان** – فماذا قال الإمام – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا ما ترون من فضلنا إلا أَلِفاً غير معقوفة** – يعني كامل التمار تعجب قال يا ابن رسول الله ما يروى من فضلكم إلا باب أو بابان! الإمام ماذا قال له؟ حتى الباب والبابان نفاهما، ماذا قال الإمام قال – **وما عسيتم** – أنتم ما تبلغون من المنزلة أو من المقدرة أو من المعرفة حتى تعرفوا فضلنا – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا** – أنتم ماذا تبلغون حتى تعرفون مقاماتنا ومنازلنا – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا ما ترون من فضلنا إلا أَلِفاً غير معقوفة** – يعني حتى أقل من نصف باء، ما هو مقصود الإمام أنه ما ترون إلا أَلِفاً غير معقوفة؟ العلماء اختلفوا في معنى هذا الحديث أنكم ما ترون من فضلنا إلا أَلِفاً غير معقوفة لربما من أفضل من شرح هذا الحديث هو الشيخ البهائي رضوان الله تعالى عليه حين قال بأنهُ في الخط الكوفي القديم الألف ترسم مثل حرف الذال شبيهة بحرف الذال، فحينما قال الإمام صلوات الله وسلامه عليه إنكم ما

رويتم إلا ألفاً غير معقوفة يعني كأنه قال ألف غير كاملة يعني هذه الجهة المعطوفة تحذف يعني يبقى نصف ألف هذا من أفضل التوجيهات التي وجهها الشيخ البهائي أن أعتقد غير ذلك، أعتقد أن مراد الإمام من الألف غير المعطوفة لأنه في الخط الكوفي القديم وحتى في الخط الكوفي الحديث الألف ترسم بأكثر من صورة، الآن حتى في الخط الكوفي الموجود وإن كان الآن الخط الكوفي تشعب، في الخط الكوفي الألف هكذا ترسم، ترسم بشكل مستقيم ثم تعقف، إما تعقف يميناً أو تعقف شمالاً مثل ما قال الشيخ البهائي وكأنها شبيهة بحرف الذال، الألف هي هذه تعقف يميناً أو شمالاً، فالألف هي ألف حينما يقول الإمام ألف غير معقوفة لابد أن تكون ألف أخرى الألف غير المعقوفة هي الألف الصغير التي توضع على حرف الألف لتمييزه عن الهمزة، هذي الألف الصغير أنا أعتقد ذلك بأن المراد من الألف غير المعقوفة لأن الألف في الخط الكوفي لابد أن تكون معقوفة، فالإمام هنا يتحدث عن ألف كاملة ولكن هذه الألف الكاملة تسمى بأنها غير معقوفة فالألف الكاملة في الخط الكوفي التي هي غير معقوفة هي هذه الألف الصغيرة التي توضع على رأس الحروف على رأس الكلمات لتمييز الألف عن الهمزة.

وفي بعض الأحيان قد تستعمل في بعض المصاحف كعلامة للمد، علامة للمد أو علامة مثلاً للألف خصوصاً في رسم المصحف لأنه نحن عندنا نوعان من الرسم هناك ما يسمى برسم القلم وهي الكتابة وقواعد الإملاء المعروفة التي نكتب بها وهناك ما يسمى برسم المصحف حيث كتب بطريقة ما واتفق المسلمون على عدم تغييرها مثل ما تكتب: **الصلوة**، فتوضع ألف قصيرة صغيرة على الواو لتشعر بأن هذه الواو لا تلفظ واو أنما تلفظ ألف فتقرأ: **الصلاة**، هذه هي الألف غير المعقوفة وإلا فالألف في الخط القديم تعقف إما يميناً وإما شمالاً في زمان الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يعني ما رويناه ما جاءنا من الروايات هو بمقدار هذه الألف الصغيرة وبالله عليكم ليس كل الروايات وصلت إلينا رغم أننا نملك أعداد هائلة من الروايات ثم إنني في هذا البرنامج أصلاً لا الوقت يكفي ولا يمكن أن نقرأ كل الروايات أو أن نورد كل الروايات، الإمام هنا في هذه الرواية يتحدث عن كل الروايات بأنها ألفٌ غيرُ معقوفة إذاً أين نحن وأين معرفةُ أهل البيت؟! إذاً أين نحن وأين هي حقيقةُ منازل أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟! لا غرابة في ذلك إمامنا أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟

فإن الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبر وأعظم مما يصفه واصفكم أو يَخطر على قلب أحدكم – حتى في عالم الخطرات لا توجد خطرات، هل هناك أقوى وأوسع من دائرة الخيال والخطرات؟! حتى في عالم الخطرات أساساً لأننا لا نملك المفردات على التصور نحن نستطيع أن نتصور في عالم الخيال لكن كيف نتصور في عالم الخيال ما لم نملك مفردات، يعني الآن مثلاً حينما يكون الإنسان لم يكن قد سافر إلى مدينة طوكيو مثلاً ويأتي شخص يحدثه فيقول إن مدينة طوكيو مثلاً فيها بنايات عالية مثلاً تشبه هذه

البنايات العالية كالبنايات الموجودة مثلاً في هونغ كونغ وهذا الشخص قد سافر إلى هونغ كونغ أو تشبه مثلاً بنايات موجودة مثلاً في مدينة سدني في أستراليا أو تشبه كذا كذا من البنايات أو تشبه مثلاً في بعض محالها مثلاً بكين في الصين، فيأتي بصور يمكن للمتخيل لأنه يملك هذه المفردات يجمع بين هذه الصور يصنع صورة من خياله لمدينة طوكيو وهو لم يكن قد رآها لكنه استطاع أن يصنع لها صورةً في الخيال معتمداً على بعض المفردات التي يملكها في خزين ذاكرته لأنه رأى هذه المدن، أما إذا لم يكن أصلاً لم يكن قد رأى هونغ كونغ ولم يكن قد رأى سدني أو بكين أو أي مدينة أخرى وهذا الذي يحدثه يقول بأن مدينة طوكيو كذا وكذا تشبه هذه المدن كيف يستطيع أن يرسم صورة في الخيال وهو أساساً لم يكن قد رأى هذه المدن؟ لا يستطيع لأننا في عالم الخيال إذا أردنا أن نتخيل شيئاً لابد أن نملك مفردات بهذه المفردات نستطيع أن نتصور شيئاً في عالم الخيال.

حينما لا نملك مفردات ما عندنا إلا ألف غير معقوفة كما يقول إمامنا الصادق عليه السلام – **وما عسيتم أن تروا من فضلنا** – الإمام يقول له بالنَهر هكذا – **وما عسيتم** – أنت ماذا تتوقع؟ تتوقع أنك تعرف، ما هي معرفتك؟! – **وما عسيتم أن ترووا من فضلنا** – كل ما عندنا ما هو إلا ألف غير معقوفة – **فإن الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبر وأعظم مِما يصفه واصفكم أو يَخطر على قلب أحدكم فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون** – وما هذا إلا قبسٌ من حديث أهل البيت، وما هذه إلا نقطةٌ من بحار بحار معارف أهل البيت التي جاءت في رواياتهم والتي يعدها إمامنا الصادق عليه السلام إنها ألفٌ غيرُ معقوفة، إذاً أين نحن نقف وأين أهل البيت يقفون؟ يقفون على كثائب من مسك هم الأعراف كما مرت علينا الروايات، نحن نقف على كثائب من تراب وهم يقفون على كثائب من مسك فبالله عليك كيف نتصور هذه الكثائب من مسك؟! نَحنُ في عالم التراب وهم في عالم المسك وأي مسكٍ؟ في عالم مسك الله سبحانه وتعالى.

اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ – البركةُ كما قلت هي الفيض والفيضُ إنما يفيض إليهم من الله ويفيضُ منهم إلينا الله سبحانه وتعالى فتح لهم أبواب الفيض الإشارات في القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى فتح لهم باب الفيض من دون حدود. حينما نقرأ مثلاً في سورة الفتح ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ صحيح ربما يُراد من الفتح النصر، النصر العسكري وهذا موجود في التفاسير لكن القرآن آياته لا تقف عند أفق واحد ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ الفتحُ المبين الفتحُ الذي لا نهاية له ليس فيه مغالق الآية هنا تشير إلى الفتح المُطلق الذي فتحه الله للحقيقة المُحَمَّدية، أفاض عليها فتح لها فيضه وجعل فيه القدرة على أن تفتح الفيض على الوجود ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ المعنى هذا يتجلى في سورة الضحى

في الآية الخامسة ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ هناك عطاء لا حدود له وأنا شرحت هذه الآية فيما مر لا أعيد الكلام ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وحتى في آية الشرح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ صحيح هناك معانٍ ظاهرية للآية وأنا هنا لست بصدد تفسير هذه الآيات لكن في هذه الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا الصدر هو قلب مُحَمَّد، الصدر المراد من الصدر حين نقول ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ الصدر ليس هو الرئتين، الصدر هو القلب وليس هو القفص الصدري ألم نشرح لك قلبك ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ألم نشرح لك قلبك، قلبُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هو ذلك القلبُ الذي يسعُ العرش ويسعُ الكرسي أليس العرش من نوره ونوري أفضلُ من نور العرش.

قلب المؤمن عرشُ الرحمن هذا المعنى ينطبق حقيقةً على من؟ على قلب مُحَمَّد على قلب عليٍّ على قلب صاحب الأمر، البركةُ النازلةُ والتي فتح الله أبوابها على الحقيقة المُحَمَّدية فيضه هو تجلي أسمائه الحسنى حين يتجلى اسم الرازق أو الرزاق فإن كل الأرزاق ستفيض من الحقيقة المُحَمَّدية، الحقيقة المُحَمَّدية مرآة أسماء الله الحسنى الحقيقة المُحَمَّدية ذلك الاسم الأعظمُ الأعظمُ الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقر في ظلك فلا يخرجُ منك إلى غيرك وإنما يخرجُ منه الفيض، فحين يتجلى اسم الرزّاق أو الرازق في الحقيقة المُحَمَّدية فإن الحقيقة المُحَمَّدية هذه المرآة المقدسة تفيض تعكس هذا الرزق يتجلى منها هذا الرزق بكل معانيه يتجلى هذا الفيض وهكذا كل اسمٍ من الأسماء الحسنى حين تتجلى في الحقيقة المُحَمَّدية فإنها تفيض تفيضُ بركةً فهم مساكن بركة الله، بركةُ الله أسمائه الحسنى لأن النماء ولأن الفيض ولأن الزيادة ولأن الخير منابعها من أسمائه الحسنى وهذه الأسماء الحسنى تجلت في الحقيقة المُحَمَّدية ومن الحقيقة المُحَمَّدية فاض الفيضُ ولذلك كل الكائنات تعيشُ في هذا الفيض، بركتها من تلكم البركة وهذا معنى:

وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ هو هذا الفتح، الفتح الحقيقي أن الله فتح للحقيقة المُحَمَّدية كل البركة وكل الرحمة والحقيقةُ المُحَمَّدية هي الرحمة التي وسعت كل شيء، رحمته التي وسعت كل شيء، لأن كل شيئاً تلبسته الرحمة وفاضت عليه الرحمة فمرد هذه الرحمة إلى مرآة أسمائه الحسنى أسمائه الحسنى تجلت أين؟ في الحقيقة المُحَمَّدية وباب هذه الحقيقة هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد على الأرض، باب هذه الحقيقة السبب الذي يوصلنا بالبركة باب هذه الحقيقة مجلى هذه الحقيقة في الأرض مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، حين يقول صلى الله عليه وآله – **ما عرفناك حق معرفتك** – هذا في الأفق البشري هذا في الأفق الإنساني وإلا

كل أسماء الله قد تجلت في الحقيقة المُحَمَّدية وحتى الاسم المستأثر تجلى فيها وذلك هو معنى مساكن بركة الله – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – فهناك المعرفة وهناك البركة ويأتينا هنا – **وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – معادن جمعٌ لمعدن والمعدن هو المكان أو الجهة التي يعدن فيها الشيء، يعدن يعني يثبت يقيم – **وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – يعني هم الأمكنة هم الجهات هم المحال التي تعدن فيها حكمة الله، معادن الحكمة هنا تستقر حكمة الله، وحكمة الله هي مجمع معرفته وبركته.

كلمة الحكمة في أصلها في لغة العرب الحِكمة أو الحَكمة هي قطعةٌ قد تصنع من حديدٍ أو من شيءٍ آخر أو من جلد أو قد تنسجُ من الوبر توضعُ على مقدمة رأس الحصان عند أنفه وفمه عند مقدمة رأسه عند بوزه عند بوز الحصان توضع حتى يربطُ بها اللجام ومن طريقتها وبواسطتها يستطيع الفارس أن يتحكم بحركة الفرس بحركة الجواد، فهو شيءٌ يوضع على مقدم رأس الفرس على مقدم رأس الجواد رأس أي دابة من الدواب ثم تربط بمنظومة خيوط أو سيور من الجلد إلى اللجام فحين يمسك الفارس الراكب باللجام أو الزمام يستطيع أن يحرك رأس الدابة بأي اتجاهٍ يريد وذلك إنما هو بواسطة الحَكمة أو الحِكمة، الحِكمة إذاً في لغة العرب هي الوسيلة أو الآلة لأي شيءٍ؟ لتوجيه الأمر بالاتجاه الصحيح، هذا المعنى اللغوي في أصله في لغة العرب، الحِكمة كما يقال هي وضع الشيء في محله المناسب الحِكمةُ هي هذه.

الحِكمة بالنسبة لنا هي أعلى درجات العقل أعلى تجليات العقل هي الحِكمة، الحِكمةُ عقلٌ ولكنها أعلى تجليات العقل، فهنا معرفةٌ وهنا بركةٌ، معرفةٌ وبركة تتكامل بالحِكمة – **وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – وحكمة الله المراد هنا والمذكورة هنا في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هي ولايتهم يعني هم القائمون في مقام المعرفة المتصرفون في مقام البركة في مقام الفيض وإنما أعطيت لهم الولاية بقدر ما عندهم من الحِكمة وإنما ما عندهم الحِكمة بقدر ما عندهم من المعرفة فهم معرفة الله وهم بركة الله وهم حكمة الله.

نحن حين نقرأُ في الكتاب الكريم مثلاً في سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إذاً جوهر الحِكمة في الأفق الإنساني هو الشكرُ لله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ما هو جوهر هذه الحِكمة؟ الآية الثانية بعد العاشرة من سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ إذاً الحِكمةُ هي الشكر وما المراد من الشكر؟ الشكرُ هو الثناء، الثناءُ قد يكون بمعنى المدح، قد يكون بمعنى الحمد ولا أريد الخوض في هذه التفاصيل للحديث عن الجمال الاضطراري والجمال غير الاضطراري مباحث معروفة في كتب الفلسفة لا أريد الخوض في هذه القضية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا

﴿لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الحكمةُ هي الشكر والشُكرُ هنا هو نفسه الذي إليه الإشارة في الحديث من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق هذي هي الحكمة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ حكمة لقمان هي هذه من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، وفي سورة البقرة حين نقرأ في الآية التاسعة والستين بعد المئتين ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ والحِكمة هنا كما في روايات أهل البيت معرفة الإمام ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ هذا هو الخير الكثير، الخيرُ الكثير ألا يستلزم الشكر، الشكر الموجود في سورة لقمان؟! ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ ما هي حكمةُ لقمان؟ ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ . يعني حينما نقوم بقضية مقارنة بين هذه الآية في سورة لقمان وبين هذه الآية في سورة البقرة، الآية في سورة لقمان الآية الثانية بعد العاشرة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ والآية التاسعة والستون بعد المئتين في سورة البقرة ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ هذا الخيرُ الكثير يستلزم الشكر لذلك هنا في آية سورة لقمان ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ الشكر على ماذا؟ هنا الآية تفسر ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وروايات أهل البيت تفسر لنا هذه الحِكمة، الحِكمةُ معرفة الإمام.

في سورة الجمعة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الحِكمة هي هذه نفسها هي عمق الرسالة المُحَمَّدية، عمق الرسالة المُحَمَّدية معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، عمق الرسالة المُحَمَّدية معرفة عليٍّ وآل عليّ، عمق الرسالة المُحَمَّدية معرفة أمام زماننا ومن لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، عمق الرسالة المُحَمَّدية هو هذا.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ يعني قبل أن يعرفوا الحكمة ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ونفس المعنى: **من لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية** ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ هي معرفة الإمام وهذه الحكمة التي يدعوا لها مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله، من دونها ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ في ضلال الجاهلية، هذا الحديث: **من لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية**، يتعانق مع هذه الآيات

بشكلٍ واضح ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ﴾ كما مر علينا في الآية التاسعة والستين بعد المئتين ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ والروايات قالت في الكافي وفي غير الكافي أن الحِكمة هنا هي معرفة الإمام وهنا ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والحِكمة هنا آخر مرتبة أعمق شيء في ديانة مُحَمَّد وهي معرفةُ مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ يعني قبل هذه المعرفة ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ **من لم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية** – الحِكمةُ في أفق المعرفة الإنسانية هي بهذا المعنى.

وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ – أن حكمة الله أن معرفة الله معدنها أين؟ أهل البيت هذا هو المعدن الذي تصدرُ منه الحكمة الإلهية إلينا، أما هم في مقامهم هم معادنُ حكمة الله فحكمة الله المتجلية فيهم هي ولايتهم، فما من شيءٍ في هذا الوجود إلا وهو تحت إدارتهم وتحت قدرتهم – **اللهم إني أسألكُ من قدرتك بالقدرة التي استطلت بها على كل شيء** – هذا مظهر من مظاهر القدرة – **وكل قدرتك مستطيلة** – فهذه ليس القدرة الذاتية هذه القدرة المتجلية في الحقيقة المُحَمَّدية وإلا القدرة الذاتية لا توجد فيها مراتب، لو وجدت فيها مراتب لحدث خللٌ في التوحيد، المراتب في مجالي القدرة المراتب في مجالي الأسماء – **اللهم إني أسألكُ من قدرتك** – من هذه تبعيض الحديث عن بعض القدرة – **التي استطلت بها على كل شيء وكل** – باقي مراتب القدرة – **وكل قدرتك مستطيلة** – إشارة إلى مجالي القدرة وليس إلى القدرة الذاتية، القدرة الذاتية لا يوجد فيها تبعيض ولا يوجد فيها مراتب.

هذه هي الحِكمة ومعادن الحِكمة يعني الذات التي منحها الله القدرة المستطيلة – **اَلسَّلامُ عَلى مَحالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَساكِنِ بَرَكَةِ اللهِ، وَمَعادِنِ حِكْمَةِ اللهِ** – كان بودي أن استمر في بيان العنوان الرابع – **وَحَفَظَةِ سِرِّ اللهِ** – لكن وقت البرنامج انتهى إن شاء الله في الحلقة القادمة أتم الكلام من حيث انتهيت.

عظم الله أجوركم أحباب عليٍّ وآل علي رزقنا لله وإياكم زيارته في الدنيا ومعرفته في ليلنا ونهارنا وانقطاعنا بقلوبنا وعقولنا إليه وفقنا الله وإياكم لخدمة محبيه وأولياءه والمخلصين له وهم المخلصون للإمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه ووفقنا أن نُدفَن في تربته ورزقنا أن نرى وجهه عند ساعات الموت وهو يبشرنا برضوانه وبعفوه وبمحبته لنا، اللهم عَرِّفنا وجه عليٍّ عند الممات وأرنا وجهه ليلة الوحشة في قبورنا، اللهم وفقنا أن نأخذ بحجزة عليٍّ وآل عليٍّ في مواقف يوم القيامة، اللهم وارزقنا أن نشرب من كوثر عليٍّ ومن كأسٍ عليٍّ الأوفى ومن يد عليٍّ وهو يسقي أولياءه وأحباءه على حوض مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله على كوثرهم، اللهم وارزقنا شفاعته بحق عليٍّ، اللهم ارزقنا شفاعة عليٍّ وجوار عليٍّ في الجنان بحق عليّ، أسألكم الدعاء جميعاً أحباب عليّ في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ